Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 3, Issue 1 (2024) • P: 9 - 1
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

Semantic and structural displacement in the poem "I am leaving" by the poet Rawda Al-Hajj

Dr. Sara Ahmed Breamh
College of Arts | Jazan University | Saudi Arabia

Received: 01/12/2023
Revised: 14/12/2023
Accepted: 19/12/2023
Published: 30/03/2024

* Corresponding author: hishamna999@gmail.com

Citation: Breamh, S. A. (2024). Semantic and structural displacement in the poem "I am leaving" by the poet Rawda Al-Hajj. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 3*(1), 1 – 9. https://doi.org/10.26389/AJSRP.C130923

2024 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: This study investigates the concept of displacement in Rouba Al-Hajj's poem "I Am Departing," positing it as a central element that enhances the poem's aesthetic qualities. Through a close reading and analysis of the text, the research aims to achieve a comprehensive understanding of its constituent parts, thereby uncovering the underlying meanings and connotations. The analysis delves into the poet's construction of departure and the identity of the persona she creates.

To initiate this exploration, the study first provides a theoretical background on displacement. Subsequently, it conducts a meticulous examination of both semantic and structural displacements within the poem. Methodologically, the research adopts a descriptive-analytical approach, culminating in several key findings.

Firstly, the study highlights Al-Hajj's linguistic mastery, where her manipulation of language transcends conventional boundaries, expanding the reader's cognitive scope. Secondly, the analysis reveals that the departure articulated by the poet encompasses both metaphysical and sensory dimensions, creating a multifaceted experience. Thirdly, it emphasizes the poem's rich tapestry of imagery and lexicon, employed to evoke novel semantic associations.

Furthermore, the study identifies instances of semantic displacement through the consistent use of figurative language. Additionally, it reveals structural displacement manifested in the unconventional treatment of ideas and meanings, deviating from established norms. Finally, the research underscores the dynamic interplay between word arrangement and structural modifications within the poem, which exhibit variations in presentation, temporality, and emphasis through both inclusion and omission.

Keywords: the semantic displacement , the syntactic displacement , Rawda Al-Hajj , poem "I Am Gone"

الانزياح الدلالي والتركيبي في قصيدة " أنا راحلة " للشاعرة روضة الحاج

د. سارة أحمد بريمة
كلية الآداب | جامعة جازان | المملكة العربية السعودية

المستخلص: تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف مفهوم الانزياح في قصيدة أنا راحلة للشاعرة روضة الحاج، حيث تُقدمه كعنصر مركزي يعزز الصفات الجمالية للقصيدة. من خلال قراءة دقيقة وتحليل للنص، تهدف الدراسة إلى تحقيق فهم شامل لأجزاءه المكونة، مكشوفة بذلك المعاني والدلالات الكامنة. يستكشف التحليل بناء الشاعر للانزياح وهوية الشخصية التي تخلقها .ولبدء هذا الاستكشاف، تقدم الدراسة خلفية نظرية حول الانزياح. ثم تُجري فحصًا دقيقًا لكل من التشتت الدلالي والهيكلي داخل القصيدة. منهجيًا، تعتمد الدراسة نهجًا وصفيًا تحليليًا، ينتهي بعدة نتائج رئيسية. أولًا، تسلط الدراسة الضوء على إتقان روضة الحاج للغة، حيث يتجاوز تلاعبها باللغة الحدود التقليدية، موسِّعًا نطاق المعرفة لدى القارئ. ثانيًا، يكشف التحليل أن الرحيل المُبَسَّط من قبل الشاعر يشمل أبعادًا ميتافيزيقية وحسية، خلقًا تجربة متعددة الأوجه. ثالثًا، يُؤكِّد على نسج قصيدة غنية بالصور والمفردات، المستخدمة لإثارة ارتباطات دلالية جديدة .وبالإضافة إلى ذلك، تحدِّد الدراسة حالات التشتت الدلالي من خلال استخدام مستمر لغة استعارية. كما تُظهِر التشتت الهيكلي المظهَر في المعاملة غير التقليدية لأفكار ومعانٍ، مختلفا عن المعايير المُثْبَتَة. وأخيرًا، تُسلِّط البحث على التفاعُل المُتَجَذِّر بين ترتيب الكلمات والتغيرات الهيكلية داخل القصيدة، التي تظهر اختلافات في التقديم والزمان والتأكيد من خلال كلا من إضافة وإغفال.

الكلمات المفتاحية: الانزياح الدلالي، الانزياح التركيبي ، روضة الحاج ، قصيدة "أنا راحلة".

المقدمة.

تعد ظاهرة الانزياح من أهم الموضوعات التي تناولتها الدراسات الأسلوبية. ومن خلاله تظهر أهمية معنى المعني ، الذي يقتضي التفريق بين معنى الكلمة ومعنى الجملة، والمعنى الذاتي والإيحائي، والمعنى الدلالي المميز، والسياق أو إطار الحديث، بالإضافة إلى منظومة البلاغة، والطرق المعرفية في معالجة النص (بيل، 1999م، ص177) ، فرق عبد القاهر الجرجاني بين المعنى ومعنى المعنى بقوله:"المعنى: المفهوم من ظاهر النص، والذي تصل إليه بغير واسطة، ومعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر" (الجرجاني ، 2004، ص263). وسوف نقف من خلال هذا البحث على هذه الظاهرة من خلال قصيدة أنا راحلة للشاعرة روضة الحاج ، وهي شاعرة سودانية معاصرة ، لها حضور محلي وعربي ،فازت بجائزة سوق عكاظ في دورتها الأولى 2012م، لها عدد من الدواوين .

منهج البحث :

اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على مقومات الانزياح عند روضة الحاج ، واستخراج أبعادها الدلالية والجمالية بتتبع الصور الشعرية في قصيدتها .

الدراسات السابقة :

وقد تعددت الدراسات حول الانزياح في الشعر مثل : الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية وهو كتاب للدكتور أحمد محمد ويس ، تحدث عن تأصيل مصطلحات الانزياح ، وتاريخ الانزياح عند الغربيين ، كما تناول أنواع الانزياح ومعياره ووظيفته ، وخلص الكتاب إلى أنَّ الوظيفة الرئيسة للانزياح ماثلة فيما يحدثه من مفاجأة تؤدي بالمتلقي إلى الغبطة والإمتاع وإلى الإحساس بالأشياء إحساسًا متجددًا . (ويس 2005 ص 168) . ومنها كتاب الشعر السعودي المعاصر دراسة في انزياح الإيقاع للدكتور عبد الرحمن إبراهيم المهوس ، وهو دراسة نقدية تناولت جماليات الانزياح بشكل عام ، تحدث فيه عن تعريف الانزياح ومصطلحاته ، وعرّف الكاتب الانزياح بأنه الخروج عن النمط السائد بشرط أن يكون ناجمًا عن قصيدة المبدع ، لا نتيجة جهل بالتقنيات الكتابية ، وإلا عُدَّ مظهر ضعف بدلا من كونه مظهر قوة ، تتركز الدراسة على الجانب الإيقاعي في الانزياح .(المهوس 2003، ص 4-8) وغيرها من الدراسات. وقد تقاطع البحث مع دراسات سابقة ينصب بعضها في شعر روضة الحاج ، وبعضها الآخر في الانزياح ولكنها جميعا توازيه ولا تشبهه ، أما هذا البحث فهو دراسة أدبية تهتم بمظاهر الانزياح التي بدأت في قصيدة أنا راحلة بنوعيه الدلالي والتركيبي،

أهداف البحث :

توضيح الانزياحات الشعرية التي استخدمتها الشاعرة في النص .

أسئلة البحث :

ما الانزياح ومدى وجوده في قصيدة أنا راحلة للشاعرة روضة الحاج ؟

ما هو أثر الانزياح في جماليات النص ، ووظائفه الدلالية في القصيدة ؟

ماهو الرحيل الذي تقصده الشاعرة ؟

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في محاولته للإجابة عن أسئلة الدراسة من خلال تناوله لظاهرة الانزياح .

محاور البحث :

جاء البحث في ثلاث نقاط هي:

الأولى: تمهيد عن الانزياح .

الثانية: الانزياح الدلالي في قصيدة أنا راحلة

تناول هذا المبحث الانزياح الدلالي الذي تجنبت فيه الباحثة الخوض في التنظير للانزياح بنوعيه تجنبا للتكرار ، فقد أفاض الدارسون بالتنظير لها في دراسات عديدة ، بيد أن الباحثة وقفت عند الانزياح الدلالي وأشكاله الاستعارية والتشبيهية والكنائية بالتطبيق على نص القصيدة .

الثالثة: الانزياح التركيبي في قصيدة أنا راحلة

تناول الانزياح التركيبي الذي تجلي بوضوح في البنية التركيبية وترتيبها من خلال الأساليب الانشائية الطلبية والتقديم والتأخير في التراكيب

ثم ذيلت الباحثة بخاتمة أحصت فيها النتائج

أولا : تمهيد عن الانزياح

حظي الانزياح باهتمام البلاغيين والشعراء منذ نشأة هذا المصطلح وبروزه في الساحة الأسلوبية والنقدية، واستخدام كلمات أو عبارات بمعنى مختلف عن ما هو مألوف؛ للتعبير عن مفهوم معين أو لإضفاء جمالية على النص. ولا يخفى علينا ما تحفل به لغة الشعر من خرق الدلالة المعجمية لدلالات أخرى تُفهم من السياق عبر قرائن تمنع من إرادة المعنى الأصلي . ويؤكد جون كوهن إن مكمن الشعرية هو المجاوزة ويتجلى لنا ذلك من خلال قوله : " المجاوزة بالنسبة للشعر خطأ مقصود للوصول عن طريقه إلى التصحيح الخاص بالشعر" (كوهين ، 2015 ، ص 199) .

وقد جوز نقادنا القدماء للشاعر كافة أنواع الاختراق، وجعلوه حرا طليقا يطوف في فضاءات الكلمة الرحيبة ، يقول الفراهيدي : "الشعراء أمراء الكلام يصرفونه أنى شاءوا. ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ وتعقيده ومد المقصور وقصر الممدود والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلت الألسن عن وسفه ونعته والأذهان عن فهمه وإيضاحه. فيقربون البعيد ويبعدون القريب ويحتج بهم ولا يحتج عليهم ويصورون الباطل في صورة لاحق والحق في صورة الباطل" (القرطاجني،1986 ص144)

مفهوم الانزياح :

الانزياح في اللغة : زاح الشيء ويزيح زيحا وزيوحا وزيحانا ذهب وبعد، وتباعد (زكريا ، 2001، ص445) ، وقد تعددت تعريفاته في الاصطلاح ، عرفه النقاد والأسلوبيون بأنه: "انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وحدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته ، يمكن بواسطته التعرف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي ، ويمكن كذلك اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته." (بوحاتم ، 200، ص2007)

فالانزياح في الشعر هو خروج على النسق اللغوي المعروف للمفردات والتراكيب والصور باستخدام كلمات أو عبارات بمعنى مختلف عن المعنى الأصلي، بهدف جذب المتلقي وشد انتباهه ، ولإضفاء جمال وتجديد الشعر.

ويشترط في الخروج على النمط السائد أثناء عملية الانزياح " أن يكون ناجما عن قصدية المبدع ، لا نتيجة جهل بالتقنيات الكتابية وإلا عد مظهر ضعف بدلا من كونه مظهر قوة." (المهوس ،2003، ص8) ؛ذلك أنه يعمل على الخروج عن القواعد المعروفة عن طريق خرق القواعد المتعارف عليها بين أهل اللغة ؛ بحثا عن الجمال والعمق في اللغة. وبذلك يتضح لنا أن الانزياح ظاهرة أسلوبية، يمتاز بها الأسلوب الشعري عن غيره ، لما لها من تأثيرات فنية وجمالية تمنح أبعادا إيحائية بديعة .

عنوان النص :

يُعدُ العنوان من الأسس المهمة التي يرتكز عليها الإبداع الأدبي المعاصر ، فقد تبارى الأدباء في التفنن لتقديمه بصورة شائقة للمتلقي. وعلى الرغم من رأي بعض النقاد أن العناوين في القصائد ما هي إلا بدعة حديثة ، أخذ بها شعراؤنا محاكاة لشعراء الغرب والرومانسيين منهم خاصة (الغدامي ، 1998، ص263) ، لكن الذي أراه أن العنوان هو همزة الوصل بين المرسل والمستقبل ؛ لذلك كان على المبدع أن يراعي في إنتاجه الأدبي صياغة العنوان مثلما يراعي متن النص ؛ حتى يثير فضول المتلقي لطرق باب العمل الأدبي برغبة وشغف

عنوان قصيدة (أنا راحلة) في بنيته التركيبية النحوية يتكون من مبتدأ وخبر ، أما في بنيته الدلالية فإنه يحمل فكرة الرحيل المجرد . والرحيل هو الترحل والارتحال والانتقال ، والرحلة اسم للانتقال والمسير ، يقال: رحل فلان وانتقل. (ابن منظور، 1414هـ،) وتداعيات الرحيل كثيرة ، لكن أي رحيل وانتقال تعنيه الشاعرة ؟ هذا ما يتضح لنا من خلال النص من خلال الانزياح الدلالي والتركيبي الذي استخدمته الشاعرة.

ثانيا : الانزياح الدلالي

هو استخدام الكلمات بمعان مختلفة عن معانيها الأصلية لتحقيق تأثير ، وإيصال رسالة معينة وبُعد جمالي وإيحائي ونفسي ، ينتج عنه الجدة والدهشة والمفاجأة ، حيث "تنزاح الدوال عن مدلولاتها الأصلية فتختفي الدلالات المألوفة للكلمات لتحل مكانها دلالات جديدة غير معهودة ولا محدودة ، فقد يحمل الدال الواحد في اللغة الشعرية مدلولات متباينة تختلف باختلاف السياق الذي ينشأ فيه الرمز الشعري ، وقد يحدث العكس فيُرمز للمدلول الواحد بدوال متعددة" (الرواشدة، 2004، ص54) ، مما يعزز الإحساس بالجمال الانزياحي في النص الأدبي إذ تساعد هذه الانزياحات في إضافة طبقات متعددة من المعاني والتأثيرات الجمالية للنص فيجعله أكثر عمقًا .

تُعد الاستعارة من المكونات الرئيسة للصورة الشعرية ، وتتيح للنص الأدبي فرصة الخروج عن النمط المألوف في الأداء والتراكيب اللفظية العادية ، مما جعل الشعراء يتنافسون في هذا المجال للتفاضل فيما بينهم . فاذا تأملنا الاستعارة نجد إنها عدول وانزياح بياني يُغيّر مسار دلالة النص . وقد جاءت الشاعرة روضة الحاج في هذه القصيدة بانزياحات استعارية تكشف عن المعاني التي تريدها .

الريحُ كانت تطرقُ الشِبَّاكَ
في صلفٍ عنيفْ
الرعدُ والمطرُ المزمجرُ
والشوارعُ خالياتٌ والرصيفْ (الحاج،2011،ص19)

وظفت الشاعرة الاستعارة في انزياح فائق الروعة يشخص مظاهر الطبيعة في صلف الريح وزمجرة الرعد؛ لتصوير معاناة جديدة للطفلة التي فقدت حلوتها . وتطل علينا الشاعرة بصورة فنية أخرى في انزياح استعاري حيث تقول :

علمتني النجوى وترتيل القصائد والصلاة
وأعدتَ ترتيب المبعثر من دماي
فأورقت فيَّ الحياة .
وطليت باللون البنفسج
ما صدى من أحرفي الحيرى
وباب مدينتي
وزرعتَ أروقتي بهذى السوسنات (الحاج،2011،ص25)

تجرد الشاعرة من نفسها شخصية تبدو واضحا أنها مصدر أمانها ، فتطلق لحرفها العنان ليمتطي صهوة مفرداتها التي تنزاح بها استعاريًا لتصور حالة الاطمئنان النفسي والوجداني ، جسَّدتْ الحياة ، وشخَّصتْ الحروف ، والتشخيص وسيلة فنية ، وهو "صورة تعبيرية ، أو وجه بلاغي ، لموضوع غير الحي ، تضفي عليه صفات إنسانية، وهو من نوع الاستعارة" (واليز، 2014، ص509)

لملم معي هذى القصاصات
المبعثرة الشجية
واحتمل منّي النحيب المرتطعم الحريق (الحاج،2011،ص25)

انزاحت الشاعرة بهذه الصورة التشخيصية إلى ما يسمى بالتداعي أو تراسل الحواس وهو :" وصف مدركات حاسة من الحواس بمدركات حاسة أخرى " (زايد،2003،ص76) ، فقد أحالت صوت النحيب الذي يُدرك بحاسة السمع إلى طعم يُدرك بحاسة الذوق .

تؤدي الكناية دورا بارزا في إثارة المتلقي وإعمال ذهنه حال انزياح الأديب من المعنى الحقيقي إلى معنى أخر، وقد أبدعت الشاعرة روضة الحاج في استخدامها للانزياح بدلالات المفردات في تشكيل الصور الفنية التي تجسد عبرها ظاهرة الزواج المبكر كصغيرة

حلمت بأن العيدَ خبأ في يديها (حلوتين)
فاستيقظت فرحًا
ولمَّا لم تجد شيئًا بكتْ
حُزنًا ألحَّتْ في البكاء
جاؤوا لها (بعروسة)
وكتاب ألوان ... وماء
فأبت
تفتش مهدها
تبكي
تريد (الحلوتين) !!!
هتفوا بها زجرًا
فدسَّت وجهها
وجثت
تُكتِّمُ أنَّة الصدر النحيف
يا حلوتيَّ ! (الحاج،2011،ص25)

تبدو لنا الكناية في قولها (جاؤوا لها بعروسة) تشير إلى ظاهرة زواج القُصَّر، حيث تصف حال طفلة أراد أهلها أن يزوجوها ، فالعروسة كناية عن فستان الزفاف، وكتاب الألوان كناية عن أدوات التجميل والزينة التي تستخدمها العروس ، والشاعرة باستخدامها أسلوب الكناية الذي انزاحت به لتصف المشهد بأبعاد دلالية عميقة تفسح المجال للمتلقي في قراءة النص قراءة تنظر الى ما وراء السطور لتستدعي دلالات خفية وعميقة يستشعرها القارئ عند الوصول الى المعنى المباشر وهو ما سماه الجرجاني بمعنى المعنى بقوله:"وجملةُ الأمر: أنَّ صُوَرَ المعاني لا تتغيَّر بِنَقْلها من لفظٍ إلى لفظٍ، حتى يكونَ هناك اتساعٌ ومجازٌ، وحتى لا يُرادَ من الألفاظِ ظواهرُ ما وُضِعَتْ له في اللغة، ولكن يُشارُ بمعانيها إلى معانٍ أُخَرَ" (الجرجاني، 1992، ص256)

وترسم شاعرتنا لوحة فنية أخرى تبدأ بالانزياح الاستعاري حيث تقول :

هذى التي تقتات من كلماتك الخضراء

تطرد خافقي(الحاج،2011،ص22)

فتجعل الكلمات قوتًا مطعومًا ، وقد تفنن الشعراء في استخدام الكلمة ، فأحيانا تلقي لنا بدلالة حزينة ، وأحيانا أخرى تعكس لنا دلالة الفرح والراحة، قال الشاعر في قصيدة حرقة كمد :

الحزن يقتات من روحي ومن جسدي ** فلا تسلني عن الأحزان يا ولدي (العتيبي، 2022، ص16)

ثم انتقلت شاعرتنا إلي جزء آخر من هذه الصورة بالانزياح الكنائي في وصفها للكلمات بأنها خضراء ، واستخدام اللون الأخضر أعطى بُعدًا دلاليًا للكلمات التي تقتاتها فتبعث فيها الحياة ، (واللون من أكثر المعطيات التجريبية جلاء في عالمنا من خلال ارتباطه بالأشياء ، فأن تُعطي شيئًا لونًا ليس له ... فيبدو ذلك كأنه تحدٍ للعقل"(كوين، 1990، ص135) ، واللون الأخضر يحمل دلالة الخير والعطاء والانشراح ، فهو لباس أهل الجنة وفرشهم (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) (سورة الإنسان ، الآية 21) ، وقوله تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان)(سورة الرحمن الآية 76). فاللون للكلمات التي تقتاتها الشاعرة تكني به عما يبعثه الشعر في دواخلها من راحة واطمئنان ، فالكلمة الخضراء تشفي العليل لأنها تحمل معنى جيدًا تداوي النفوس ، وهي تطرب التي تجعل الشاعرة في حالة من الفرح والطرب .

لا لحن يطربني

سوى كلماتك الخضراء تذرع مسمعي .

وتواصل قائلة :

علمتني النجوى وترتيل القصائد والصلاة

وأعدت ترتيب المبعثر من دماي

فأورقت فيَّ الحياة

وطليت باللون البنفسج

ما صدى من أحرفي الحيرى

وباب مدينتي

وزرعت أروقتي بهذي السوسنات (الحاج،2011،ص25)

تتوجه الشاعرة بخطابها إلى من ألهمها ذلك النظم البديع الذي تصفه بالترتيل ، والترتيل هو "حُسْن تَناسُق الشَّيْءِ. ورَتَّلَ الكلامَ: أَحسن تأْليفه وأَبانَه وتمَهَّلَ فِيهِ. والتَّرْتِيلُ فِي الْقِرَاءَةِ: التَّرَسُّلُ فِيهَا وَالتَّبْيِينُ مِنْ غَيْرِ بَغْيٍ" (ابن منظور، 1994، ج 11 ص265) ، لتنزاح به عن الإبداع السمعي إلى إمتاع روحي يسمو بالروح ؛ بما يحمله من قيم ومعان أكسبته القداسة . وتتوالى الانزياحات فتعبر بالدماء المبعثرة عن دواخلها ومشاعرها التي طالتها يد الشتات فتبعثرت ، وهي من الانزياحات الباعثة عن الإثارة والدهشة ، وتستعين الشاعرة بالتشخيص، وهو:"تشخيص المعاني المجردة ، ومظاهر الطبيعة الجامدة، في صورة كائنات حيَّة ، تحس وتتحرك وتنبض بالحياة" (زايد،2003،ص76) ، فترسم لوحة فنية عبر تشخيصها للحياة بالنبات المورق، لتبين لنا من خلال هذه اللوحة الفنية عودتها مرة أخرى إلى العطاء في دنيا الشعر الذي انطبع في دواخلها وإحساسها مدينة زُرعت مساحاتها بأزهار البنفسج والسوسن التي ترمز إلى الجمال والأمل والصمود .

ثالثا : الانزياح التركيبي

هو أحد الأساليب البلاغية التي تُستخدم في اللغة العربية لإيصال المعاني بصورة فنية جمالية ، ويتمثل في تغيير وترتيب الكلمات في الجملة بحيث يتم تحويل كلمة أو أكثر من موضعها الطبيعي إلى موضع آخر. والانزياح التركيبي من أهم العناصر التي تساهم في تشكيل اللغة الشعرية ، إذ "لا يتحقق الشعر إلا بقدر تأمل اللغة وإعادة خلق اللغة مع كل خطوة ، وهذا يعترض تكسير الهياكل

الثابتة للغة ، وقواعد النحو ، وقوانين الخطاب"(كوهين، 1990، ص176) ، وهذا يتيح للمبدع خلق فرص لحرية الاختيار في توزيع التراكيب على امتداد النص ، وما ينشأ عنه من علاقات جديدة للمفردات ، من تقديم وتأخير وذكر وحذف وتكرار و أساليب انشائية.

يظهر التكرار في قولها :

أنا راحلة

لا زاد .. لا صحبًا

ولا قلبًا يعي

لا وصف عندي بعد عينيك الرحيبة

لا ... ولا أنت معي

لا لحن يطربني (الحاج،2011،ص25)

تكرر النهي سبع مرات متتالية ليعكس عمق الإحساس بألم الوحدة التي تعيشها الشاعرة ، وهذا التكرار الذي تعبر عنه نازك الملائكة باسم التكرار البياني قائلة : " وهذا الصنف من التكرار أبسط الأصناف جميعا وهو الأصل في كل تكرار تقريبا"(الملائكة ، 1967،ص 280)

يا أنت لا

لا تطرديه

هو متعب. العينين مضطربٌ .. دعيه.

لا تسأليه بكل ناحية

هويته وأوراق العبور وعمره.

لا تسأليه.

فأنا سأرحل. (الحاج،2011،ص22)

تكرر اسلوب النهي الذي انزاحت به من معنى إلى معنى حيث تقول: (يا، أنت لا) جاء النهي مطلقا دون تحديد المنهي عنه. ثم يأتي التوضيح تباعا، (لا تطرديه) ليعطي كل نهي بعدا جديدا يدرك به المتلقي حدود النهي فالشاعرة تنزاح بالنهي من عمومه لتصل إلى تفاصيل دقيقة تجعل المتلقي يدرك مكانة ذلك الحبيب في نفسها، ومن خلال التكرار تؤكد شدة تعلقها به، ومكانته في نفسها التي تمثل حصانة له من أن يطاله الطرد أو السؤال، أو أي شيء يجعلها تفقده.

ففي الأبيات السابقة تستخدم الشاعرة الانزياح التكراري بشكل فعال؛ لتعزيز المشاعر والأفكار التي ترغب في التعبير عنها.

تختلف دلالة التكرار في الشعر حسب السياق والغرض من استخدامه ، فقد يستخدم لتأكيد فكرة معينة، أو لإيراد المشاعر والعواطف بشكل أقوى، ويمكن أن يعزز التكرار أيضا الإيقاع والتوازن في الشعر، ويساهم في خلق تأثير درامي، أو تعبير عن الحالة النفسية للشاعر، وقد يستخدم الشاعر التكرار لإبراز الأهمية، أو التأكيد على فكرة معينة، وقد يكون أيضا وسيلة للتواصل مع القارئ، وجذب انتباهه. وفي قصيدة شاعرتنا روضة الحاج أخذ التكرار مساحته ابتداء من العنوان الذي التزم القصيدة من البداية، حتى النهاية. فنجد أبيات الشاعر روضة الحاج التي تقول فيها.

فأنا سأرحل.

حين أعرف كيف جئت.

وكيف أرجع؟ الطريق؟

تدور هذه الأبيات حول فكرة الانفصال والرحيل، ويرد فيها التكرار لتأكيد قرار الشاعرة في المغادرة، وتوضيح حالتها العاطفية التي تتبين لنا من خلال تكرار كلمة، سأرحل، وذلك لإظهار القرار الثابت والحازم للشاعرة في الرحيل "والأساس العاطفي هو شرط لأي تكرار" (الملائكة ، 1967،ص 280)

ولكل تكرار دلالاته ، حيث استخدمت تكرار التقسيم ، وهو "تكرار كلمة أو عبارة في كل مقطوعة.... والغرض الأساسي من هذا الصنف من التكرار إجمالا أن يقوم بعمل النقطة في ختام. المقطوعة. ويوحد القصيدة. في اتجاه معين." (الملائكة ، 1967،ص 284)

وهذا ما تبين لنا في قصيدة شاعرتنا التي جعلتها وحدات، تناقش كل وحدة معنى جديدا، ولم تكن تكرارات لفظية خالية من الدلالات، بل كان لها ما ورائها من معان ودلالات تقدم ذكرها. وفي تقديري أن الشاعرة وفقت في تكراراتها، حيث توافرت فيها شروط التكرار، وانطبقت عليه أغراضه ودلالاته.

كما يتحقق الانزياح التركيبي في خطاب روضة الحاج الشعري من خلال امتلاكها لمعجم لغوي واسع، مكنها من ممارسة فاعلية الاختيار والانتقاء، وفق علاقات ممتدة في ثنايا النص .

يتمثل الانزياح الأسلوبي في القصيدة في الصيغ الإنشائية، وهي (التراكيب المصاغة شكليا على نسق إنشائي مقابل الصيغة الإخبارية التي تحتمل التصديق والتكذيب." (أبو العدوس ،2007،ص281)

وسنقف على اللغة الشعرية الانزياحية للأساليب الإنشائية في القصيدة فنجد ثلاثة أنماط للأساليب الإنشائية الطلبية : النهي ، والنداء، والاستفهام.

ذكر البلاغيون خروج الاستفهام عن دلالة الطلب إلى دلالات أخرى تستفاد من السياق، ونجد ورود الاستفهام كلما ذكرت الشاعرة عبارة الرحيل، مثل قولها:

فأنا سأرحل.

حين أعرف كيف جئت.

وكيف أرجع؟

وفي قولها:

إنَّا سنرحل

لست أعرف كيف ؟ وأين؟ متى؟

وفي قولها كيف أبقى؟ (الحاج،2011،ص27)

ما يلاحظ على هذه المقاطع الشعرية أنها جاءت حافلة بالاستفهامات المتجهة إلى مستفهم بصيغة المتكلم، وهو ما يدل أن الشاعرة تعيش حالة اضطراب نفسي جعلتها تحدث نفسها، وتسألها مستخدمة مخاطبة ذاتها لا الآخر، مما يوحي لنا بحيرة الشاعرة وتيهها لدورانها في حلقة الاستفهام دون جواب.

ويبدو جليا من خلال استفهاماتها حالة التردد والشك التي تعتريها في كيفية القدوم والعودة، وعن الطريق الذي يجب أن تسلكه.

في الأساليب الاستفهامية خرقت أفق توقعنا من انتظارٍ للإجابة إلى انزياحات ودلالات كثيرة عكست التوتر والغموض والقلق والحيرة عند الشاعرة.

يا حلوتيَّ

وعيد أيامي

تستخدم الشاعرة أسلوب النداء في هذا المقطع منزاحة به عن دلالته الأصلية إلى دلالة جديدة هي إعلاء المنادى حتى صارت تتمناه.

وتتابع النداءات الانزياحية في قولها:

يا مؤنسي في زحمة الدنيا

وإيحاش السفر

يا موعد الشعر المسائي

الذي شوقًا إليه أنتظر. (الحاج،2011،ص21)

تثير الشاعرة بهذه النداءات اهتمام المتلقي؛ ليستعد ذهنيا ونفسيا للتفاعل مع أفكارها التي تحمل التحبب والتودد إلى المنادى، كما تحمل أهمية وجوده في حياتها.

وتقول :

يا طيب العينين.

يا سمح الدماء

ويا وسيم الحرف

أدركني بحرف

يا من به سافرت للربوات

والنجمات ..

قبَّلتُ السماء

ونمتُ في صدر القمر(الحاج،2011،ص21)

ترسم تعابير النداء لوحة فنية قوامها مصدر أمان الشاعرة الذي شهد تفاصيلها حضورًا وغيبة ولم تكن حدوده الأرض فقط ، فقد ارتقى بها إلى فضاءات رحيبة ، كنَّت عنها بالسفر إلى النجمات ، والنوم في صدر القمر ، وتقبيل السماء ، في انزياحات تعطينا دلالات الرفعة والسمو

وقد عمدت الشاعرة إلى تكرار أسلوب النداء مستهدفة شد انتباه المتلقي؛ ليركز على ما يلي النداء. فالشاعرة تعيش موقفا شعوريا مفعما بالعاطفة

تقول الشاعرة:

واليوم
تزدحم الخواطر
والنحيب والمر
والحرف المصادم
والرفاة
يستعطفون
لكي نظل بقرب وجهك
نستضيئ لمقبل الليلات
والطرق الكئيبة
كيف أبقى؟
حيث أشعر بالصقيع يلفني
صمتًا
واشتم الممات... (الحاج،2011،ص27)

تستعرض هذه الكلمات الانزياح في وصف الشاعرة لتجربتها العاطفية حيث تشير إلى تباعد الأمور عن مركزها المعتاد، فالخواطر تتزاحم وتكتظ، والنحيب المر والحرف المصادم يظهرون كمظاهر للألم والصراع الداخلي، وتبدو الصورة البصرية للرفات وهي تستعطف لتظل بقرب وجه الشخص الذي تتحدث عنه، توضح الرغبة في الاقتراب والتمسك بالمصدر الذي يجلب الدفء والإضاءة.

وفي إشارتها إلى مقبل الليلات والطرق الكئيبة تعزيز لكثير من الجوانب المظلمة والتحديات التي تواجهها الشاعرة.

وتطرح الشاعرة سؤالها.

كيف أبقى؟ ليكشف عن عزلتها ووحدتها ، كما يضيف الصقيع والصمت إلى هذه العزلة إحساسٍ الموت، وكل هذه المشاعر تنزاح بها الشاعرة لتعبر بها عن ما تحس به من ألم.

صعب رحيلي.. أعترف
جزع هو القلب المغالب والنزف
مشدودة أعصاب روحي مرهقة
ودمي تلف
يا أيها الرهق المسافر في دماي
ويا نزيف الجرح قف!

استعرضت هذه الأبيات من خلال ترتيبها الانزياح التركيبي، فتبدأ بكلمة صعب التي تعكس تعقيد الوضع والصعوبة في الرحيل، وهي صعوبة معنوية .

وتعزز ذلك باستخدام كلمتي رحيل وأعترف ، فتنشأ جملة غير مكتملة تشير إلى معنى الفصل أو البعد.

ثم يأتي قولها : جزع هو القلب المغالب والنزف.

لتضيف تشكيلا لفظيا يسهم في توضيح الصورة الانزياحية ، ويتم التركيز على كونه (وصفه بالقلب) القلب المغالب مما يوحي بالمعاناة العاطفية وبعبارة (النزف) تتكون صورة تدل على المعاناة الجسدية.

الخاتمة

وأخيرا هذه القصيدة أنا راحلة أبرزت مفهوم الانزياح بنوعيه الدلالي والتركيبي بشكل مميز ، إذ تتعامل القصيدة مع الانزياح الدلالي من خلال تغيير المعاني المألوفة والتوجه نحو معان مختلفة تماما مما يشكل انزياحًا دلاليا .

توصلت الدراسة لعدد من النتائج أهمها :

كشفت شعرية الانزياح سعة المعجم اللغوي عند روضة الحاج و امتلاكها لناصية اللغة بصورة جعلتها تكسر سعة أفق المتلقي

الرحيل الذي تحدثت عنه الشاعرة بدا جليا أنه رحيل معنوي وحسي

حفلت القصيدة بمجموعة متنوعة من الصور والكلمات؛ لخلق تأثيرات دلالية جديدة ، مثل عبارة أنا راحلة ، يمكن فهمها بعدة طرق منها الرحيل الجسدي، وأيضا الانتقال عاطفيا من حالة إلى حالة أخرى ، ويتجلى الانزياح الدلالي في الصور البيانية المتجانسة لغويا، والتي تظهر من خلال القصيدة الانزياح الدلالي بشكل فني وإبداعي مما يجعل القارئ يغوص في طيات النص ويكتشف طبقاته المعنوية المختلفة.

يظهر الانزياح التركيبي من خلال تناول الأفكار والمعاني بصورة تختلف عن المألوف، ويتجلى ذلك بوضوح في البنية التركيبية للقصيدة وترتيبها ، حيث تبدأ بكلمة أنا راحلة التي تعطي انطباعا منذ البداية بأن هناك شيئا مختلفا سيحدث.

كما يتناوب ترتيب الكلمات وتغيير التركيب في القصيدة من حيث التقديم والتأخير مثل قولها: (صعب رحيلي) و(جزع هو القلب)،ومن حيث الذكر والحذف مثل قولها:(كصغيرة) فتجعل القارئ يبحر في عوالم مختلفة من التفسير والتأمل، مما يجعل القصيدة تجربة شعورية أكثر انفتاحا واستكشافا للمعنى والمشاعر.

المراجع

- القرآن الكريم .
- أبو العدوس، يوسف ، 2007،ط1، الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، (دار المسيرة للنشر)
- العتيبي، فلاح بن مرشد ، 2022، ط1، شموع الشمعدان (ديوان شعر) ، (مجموعة تكوين للإعلام والنشر)
- بوحاتم ، مولاي علي ، 2000، مصطلحات النقد العربي السيميائي. الإشكالية والأصول والامتداد (منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق).
- بيل ، ت.بيل ، 2001 ، ط1، الترجمة وعملياتها النظرية والتطبيق، الترجمة وعملياتها، ترجمة محي الدين حميدي ،(مكتبة العبيكان، الرياض).
- الجرجاني، عبد القاهر ، 1992، دلائل الإعجاز، تحقيق الأستاذ محمود شاكر، (مطبعة المدني للنشر ، القاهرة) .
- الحاج، روضة ، 2001،ط4، في الساحل يعترف القلب ..
- الرواشدة ، أميمة ، 2004، شعرية الانزياح ، (منشورات أمانة عمان الكبرى ، عمان)
- زايد ، على عشري ، 2002، ط4 ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، (مكتبة ابن سيناء)
- زكريا، أحمد بن فارس ، 1979م، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع)
- الغذامي ، عبد الله محمد ، 1998، ط4، الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب)
- القرطاجني ، أبو الحسن حازم بن محمد ، 1986، ط3، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، (دار الغرب الإسلامي ، بيروت) .
- كوهين ، جون ، 1986، بنية اللغة الشعرية ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ، (مكتبة الأدب المغربي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب) .
- كوين، جون ، 1990، بناء لغة الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق دكتور أحمد درويش (الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة).
- الملائكة ، نازك صادق، 1965، ط2 ، قضايا الشعر المعاصر ، (مطبعة دار التضامن ، بغداد) .
- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين ، 1994، ط3 ، لسان العرب ، (دار صادر ، بيروت)
- المهوس ، عبد الرحمن إبراهيم ، 2002، الشعر السعودي المعاصر دراسة في انزياح الإيقاع (مؤسسة اليمامة الصحفية بالرياض. العدد 113).
- واليز ، كاتي ، ط1، 2014، معجم الأسلوبيات ، ترجمة خالد الأشهب ، (المنظمة العربية للترجمة ، بيروت) .
- ويس ، أحمد محمد ط 1، 2005، الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية ، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى 1426هـ- 2005م،)